

أثر انقطاع وتشتت جهود المعجم العربي التاريخي في زعزعة ركائز الصناعة المعجمية الحديثة
(العصرنة والتحديث)

The Impact of Disruption and Fragmentation in the Efforts Toward the
Historical Arabic Dictionary on the Foundations of Modern Lexicography
(Modernization and Updating)

بلال لعفيون

Bilal Lafioune

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل (الجزائر)، bilal.lafioune@univ-jijel.dz

تاريخ النشر: 2024/11/28

تاريخ القبول: 2024/11/05

تاريخ الاستلام: 2024/02/04

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى بيان الجهود العربية القائمة على وضع المعجم التاريخي، وأثر الانقطاع والتشتت الحاصل فيها بالتشويش على مساعي إكمال هذا المعجم. ومن جهة ثانية تُبين كيف انعكس غياب التنسيق بين المعجميين والهيئات القائمة على الشأن المعجمي العربي في عدم استقرار عمليتي العصرنة والتحديث للمؤلفات المعجمية العربية عموماً والمعجم التاريخي تحديداً. وعليه نعمل في ورقتنا البحثية على بيان الانقطاع والتذبذب الذي سَجَل في الوسط المعجمي العربي حين الاشتغال على وضع المعجم التاريخي من البداية إلى الوقت الراهن. وكيف كانت آثار ذلك على سيرونة الصناعة المعجمية العربية.

كلمات مفتاحية: الاستمرارية؛ الانقطاع، التحديث، المعجمية العربية، المعجم العربي التاريخي.

Abstract

The present study aims to highlight the ongoing Arab efforts to compile the historical dictionary and to explore how disruptions and fragmentation have hindered the completion of this project. Additionally, the study examines how the lack of coordination among lexicographers and relevant Arab institutions has destabilized the modernization and updating processes of Arabic lexicographical works in general, and the historical dictionary in particular. The research demonstrates the recorded discontinuity and fluctuation in the Arab lexicographical sphere, from the inception of the historical dictionary project to the present day, and evaluates the consequences of these issues on the broader trajectory of Arabic lexicography.

Keywords: Continuity, Disruption, Updating, Arabic Lexicography, Historical Dictionary of Arabic.

المؤلف المرسل: بلال لعفيون، الإيميل: bilalla18@gmail.com

1. مقدمة:

تَتَطَلَّبُ الصَّنَاعَةُ الْمُعْجَمِيَّةُ فِي الْوَقْتِ الرَّاهِنِ تَصَاوُرَ جُهودٍ مُخْتَصِّينَ لَوْضَعِ مُعْجَمٍ وَاحِدٍ؛ ذَلِكَ أَنَّ التَّنَوُّعَ فِي الرَّصِيدِ الْمُعْجَمِيِّ يَسْتَلْزِمُ وُجُودَ خُبْرَاءَ وَمُخْتَصِّينَ فِي فَرِيقِ الْعَمَلِ ضِمْنَ تَخْصُّصَاتِ الرَّصِيدِ الْمُضْمَنِ فِي الْمُعْجَمِ، وَهَذَا حَتَّى يَكُونَ الضَّبْطُ وَالشَّرْحُ دَقِيقًا لِلْمُفْرَدَاتِ الْوَارِدَةِ.

وَإِذَا كَانَتْ 'الْمَعَاجِمُ اللُّغَوِيَّةُ الْعَامَّةُ' مَثَلًا، تَتَطَلَّبُ جُهودًا جَمَاعِيَّةً فِي الْعَمَلِ، فَإِنَّ 'الْمَعَاجِمَ التَّارِيخِيَّةَ' وَنَظَرًا لِنَتَوُّعِ رَصِيدِهَا وَامْتِدَادِهِ الزَّمَنِيِّ الطَوِيلِ (مِنَ الْإِسْتِعْمَالِ الْأَوَّلِ لِلْمُفْرَدَةِ إِلَى زَمَنِ وَضْعِ الْمُعْجَمِ)، خَاصَّةً فِي الْوُقُوفِ عَلَى مَسَارِ الْمُفْرَدَاتِ وَإِثْبَاتِ الصِّيُورَاتِ الدَّلَالِيَّةِ لِكُلِّ كَلِمَةٍ. يَتَطَلَّبُ بِدَوْرِهِ هَذَا مَجْهُودًا إِضَافِيًّا أَوْ بِالْأُخْرَى اسْتِثْنَائِيًّا، لِأَنَّ 'الْمُعْجَمَ التَّارِيخِيَّ' هُوَ مُعْجَمٌ إِثْبَاتِ الْوُجُودِ أَوْ تَأْكِيدِ حَيَاةِ اللُّغَةِ الَّتِي يُوضَعُ بِهَا، لِأَنَّهُ يَدْرُسُ أَجْيَالَ الْمُفْرَدَاتِ وَتَحَوُّلَاتِهَا الشَّكْلِيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ؛ أَيْ الْأَمْرُ يَتَطَلَّبُ سَنَوَاتٍ أَكْبَرَ فِي الْعَمَلِ، وَعُمُقًا أَكْبَرَ فِي التَّخْرِيجِ وَالْبَحْثِ. وَهُوَ مَا يُخْرِجُ الْجُهْدَ الْمُعْجَمِيَّ مِنْ دَائِرَةِ الْعَمَلِ الْفَرْدِيِّ إِلَى الْعَمَلِ الْجَمَاعِيِّ. وَأَيْضًا يَتَطَلَّبُ حِصْنًا وَغِطَاءً مُؤَسَّسَاتِيًّا يُوثِّقُ الْإِنْجَازَ وَيَضْمَنُ الْإِسْتِمْرَارِيَّةَ فِي الْأَدَاءِ الْفِعْلِيِّ لِلْعَمَلِ الْمُعْجَمِيِّ؛ لِأَنَّهُ -بِبَسَاطَةٍ- لَا تَوْجَدُ نِهَائِيَّةً لِلْمُعْجَمِ التَّارِيخِيِّ مَا دَامَ لَا يُوجَدُ نِهَائِيَّةً لِلدَّوَالِ اللَّغَوِيَّةِ، أَيْ حَتْمِيَّةَ التَّغْيِيرِ وَالتَّجْدِيدِ وَارِدَةٍ، وَمِنْهُ تَثْبِيتُ الْخِيَارَاتِ وَالْمُتَغْيِرَاتِ اللَّغَوِيَّةِ بِشَكْلِ دَائِمٍ.

عِنْدَ النَّظَرِ فِي الْمَعَاجِمِ التَّارِيخِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، نَلْمَحُ جَلِيًّا الْإِنْقِطَاعَ وَالتَّذَدُّبَ فِي وَضْعِ هَذِهِ الْمَعَاجِمِ، الْأَمْرُ الَّذِي أَنْعَكَسَ بِقَطْعٍ وَتَبِيرَةٍ 'الْعَصْرَنَةِ' وَ'النَّحْبِيِّينَ' عَنِ الْمُعْجَمِ الْعَرَبِيِّ، وَهُمَا نَبْضُ الْحَيَاةِ وَالْحَيَوِيَّةِ فِي صِنَاعَةِ الْمَعَاجِمِ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ.

فَالِإِىَّ مَدَى أَثَرِ انْقِطَاعِ جُهودِ التَّأْلِيفِ فِي الْمَعَاجِمِ التَّارِيخِيَّةِ عَلَى إِصْدَارِ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْمَعَاجِمِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ؟ وَمَا أَهْمِيَّةُ الْعَصْرَنَةِ وَالنَّحْبِيِّينَ الْمُعْجَمِيِّينَ فِي الدَّفْعِ بِالْمُعْجَمِ الْعَرَبِيِّ نَحْوَ التَّجْدِيدِ وَالتَّنَوُّرِ الْمَطْلُوبِ؟

مِنَاقِشَةُ قِضِيَّةِ الْمُعْجَمِ التَّارِيخِيِّ، يَعْنِي إِثَارَةَ جُزْءٍ مِخْوَريٍّ مِنَ الصَّنَاعَةِ الْمُعْجَمِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، نَظَرًا لَكُونِ الْمَعَاجِمِ التَّارِيخِيَّةِ تُمَثِّلُ قِمَّةَ التَّأْلِيفِ الْمُعْجَمِيِّ. وَلِهَذَا حَرَيٌّ بِنَا حِينَ طَرَحَ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْمُنْجَزَاتِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَيَانُ تَسْلُسُلِ الْجُهودِ، وَمَا تُقَدِّمُهُ مِنْ إِضَافَاتٍ لِلْمُعْجَمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ عُمُومًا. بِطَرَحِ آخَرٍ؛ إِنَّنَا حِينَ نَبْحَثُ فِي الْمُعْجَمِ الْعَرَبِيِّ التَّارِيخِيِّ نَجِدُ أَنْفُسَنَا أَمَامَ الْأَفْكَارِ وَالْمِنَاقِشَاتِ النَّظَرِيَّةِ لَهُ، مَعَ قَلَّةِ تَطْبِيقِ أَوْ نِسْبَةِ وَسَطِيَّةِ التَّطْبِيقِ حِينَ يَكُونُ. فَمَا هِيَ مَوَانِعُ إِصْدَارِ الْمُعْجَمِ الْعَرَبِيِّ التَّارِيخِيِّ؟

ورغم غياب المعجم التاريخي العربي، إلا أن ميكانيزم المتابعة له مستحيل نظراً لغياب العصرنة والتحيين، عن المعاجم العربية العصرية، ومنه فالتحيين والعصرنة للمعجم التاريخي سيكون سبباً آخر يُعيق جودة المعجم في حال وجد. فكيف السبيل إلى فرض هذين الاليتين (العصرنة والتحيين) في الصناعة المعجمية العربية الحديثة؟ أيضاً: نُسائل أنفسنا بواقع حالنا معجمياً: هل الواقع الذي نحن عليه بمنجزاتنا المعجمية العربية الحالية، نُساير فيه مُستجدات الصناعة المعجمية العالمية؟ أم هناك تفاوت بين حالنا وحال غيرنا معجمياً؟ وكيف يتجلى ذلك؟

2. مفهوم المعجم التاريخي:

المعجم التاريخي: يُعرف بكونه: "المعجم الذي يرصد تطوّر الألفاظ اللغوية في علاقتها ببعضها البعض صرفياً ودلالياً. فيكون المعجم التاريخي للغة العربية بهذا التحديد هو المعجم الذي يتضمّن ذاكرة" كل لفظ من ألفاظ اللغة، تسجّل -حسب المتاح من المعلومات- تاريخ ظهور دلالاته الأولى، وتاريخ تحولاته الدلالية والصرفية ومكان ظهوره، ومستعمليه في تطوّراته، إن أمكن. مع توثيق تلك "الذاكرة" بالنصوص، التي تشهد على صحة المعلومات الواردة فيها" (البوشيخي، 2014، صفحة 44).

وهناك من يُعرّفه على أساس ما يدخل تحت تعريف "المعجم التاريخي للغة" من عناصر، فمن المكونات الأساسية. مصطلح "المعجم": (مدونة وترتيب وتعريف)، والجزء المتبقي من مكونات مصطلح "تاريخ"، ورغم أن مفهوم "التاريخ" نفسه ليس من المفاهيم المحددة بدقة بين أصحاب الاختصاص، إلا أن كل عمل حقّق الحد الأدنى من عناصر ذلك المفهوم، اعتُبر داخلاً تحت عنوان: المعجم التاريخي" (ع74، 2014، صفحة 16)، والذي يُعنى ببيان التداول التاريخي للمادة المعجمية وما يطرأ عليها من تغيير عبر العصور المختلفة.

3. مزايا المعجم التاريخي:

حين النظر في المعجم التاريخي فإننا نجد فيه ميزات ومكاسب عدّة تُميّزه عن غيره من المعاجم السابقة له، فزيادة على الطابع الشمولي لرصيد الثروة اللغوية الموضوع بها المعجم، فإنه يسمح كذلك بتتبّع المسار الكرونولوجي لبُروز وزوال المفردات، وكذلك يُمكن من تحديد مواضع وحدود الاستعمال داخل مختلف التخصصات والميادين العلمية والمعرفية. وهو ما فتح الطريق واضحاً أمام المعاجم الإيتمولوجية من جهة والمعاجم المتخصصة من جهة أخرى. على العموم يمكن أن تستعين بما قاله الخبير اللغوي 'عبد الرحمن حاج صالح' حين ذكر مزايا المعجم التاريخي للحث على وضع مؤلف عربي نظراً لما يوفّره من مكاسب للمعجمية العربية، وكذا من تسهيل لعديد أنواع

المعاجم الأخرى. كما أنّ دوافع وضعه تفرض نفسها حالياً على الجانب العلميّ والحضاريّ. وفيما يلي أهم ثلاث موجبات إنجازّه:

1.3 الموجب العلميّ:

من أهم الموجبات العلميّة سدُّ ثغرة غياب معجم تاريخي للغة العربية، ويتحقّق بذلك رصدُ التطوّر الدلالي للغة العربية عبر عصورها التاريخية، وفهم التراث المعرفي والعلميّ فهماً صحيحاً، بفهم دلالات الألفاظ ومعاني المصطلحات، في سياقاتها التاريخية المتعاقبة، وسدّ الفجوة الناتجة عن قصور المعاجم العربية في مواكبة التطوّر اللغويّ وجديد مفرداته.

ومن الموجبات العلميّة أيضاً، استيعاب ألفاظ اللغة العربية في مدوّنة معجمية واحدة، وتوفير المادّة اللغويّة الكامنة للوفاء بحاجيات الترجمة والتّعرّيب، وخدمة اللغة العربية في مستوياتها المتعدّدة. (إدخال عنصر تقليص الفارق والهوة بين العربية واللغات الكبرى).

2.3 الموجب القوميّ:

يُكمن الموجب القوميّ أساساً في حماية تراث الأُمّة اللغويّ والفكريّ والعلميّ، والمساهمة في توحيد الأُمّة بتوحيد لغتها، وخدمة الهوية اللغويّة العربيّة.

3.3 الموجب الحضاريّ:

يتعلّق الموجب الحضاريّ بالارتقاء باللغة العربيّة إلى مصافّ اللّغات العالميّة الحيّة، اقتداءً بأكثر لغات العالم تطوّراً. وهي لغات الأمم التي تملك معاجم تاريخيّة مُتجدّدة مثل: الإنجليزيّة والفرنسيّة والألمانيّة والإسبانيّة والروسيّة، وعرض الإنجازات الفكرية والعلمية للأُمّة عبر تطوّرها التاريخيّ، ووصل حاضِر الأُمّة بماضيها وتراثها. (مؤلفين، 2014، الصفحات 20-21). ويمكن -زيادة عليها- أن تُضيف: الموجب اللّغويّ والسياسيّ؛ لأنّ اللغة من مقومات الأُمّة والهوية في كلّ دولة، وأحد الأوراق السياسيّة الرّكيّزة. وعليه فالتّواجد اللّغويّ في المحافل الدّوليّة يعكسُ بُعداً حضاريّاً وتمثيلاً نوعيّاً سياديّاً للبلدان التي تُسيطر لغاتها في تسيير: الهيئات والمنظمات وكتابات القرارات والمواثيق، وغيرها من أنماط التّواصل الدّوليّ.

من خلال هذه المزايا، يتبيّن لنا بحقّ أنّ باب العصريّة المعجميّة يحصلُ بوضع المعجم التاريخيّ؛ لأنّ معرفة تاريخ مفردات الثّروة اللّغويّة يحصلُ بوضع بطاقات تعريفية لكلّ مفردة، وهو وحده يُمكن من تعميق المعرفة برصيد اللّغة وتنمية التّأليف بها.

4. كرونولوجيا مساعي تأليف مُعْجَم عربيّ تاريخي:

البَحْثُ عن المُعْجَم العربيّ التاريخيّ في رَصِيدِ المَعْجِمَةِ العربيّة، يَجْعَلُنَا نَقِفُ على أَكْبَرِ رَصِيدِ تَنْظِيرِيٍّ في مُقَابِلِ نُدرَةٍ أو شَحٍّ تطبيقيّ، ويتجلّى هذا من خلال قِلَّةِ التَّصْنِيفِ والتَّأْلِيفِ لِهَذَا النُّوعِ مِنَ المَعَاجِم. فمُنْذُ ظُهُورِ فِكْرَةِ المُعْجَم العربيّ التاريخيّ التي نَادَى إِلَيْهَا المُسْتَشْرِقُ الأَلماني 'أ. فيشر' والمَسَاعِي العربيّة مُتَوَاصِلَةٌ بَعْدَهُ لِتَجْسِيدِهِ؛ لَكِنَّ حَظَهَا مِنَ الإِتِمَامِ لَمْ يَزِدْ على وَضْعِ أَجْزَاءٍ في أَحْسَنِ الأَحْوَالِ، وفيمَا يلي عَرْضٌ لَأَهَمِّ الجُهودِ:

1.4 جُهودُ المُسْتَشْرِقِ الأَلماني 'أ. فيشر' في تَأْلِيفِ المُعْجَم العربيّ التاريخي:

يُعَدُّ المَعْجَمِيّ 'أ. فيشر' من أَبْرَزِ المُسْتَشْرِقِينَ الذين أَثْرَوْا في مَسَارِ الصَّنَاعَةِ المُعْجِمَةِ العربيّة، خَاصَّةً في مُبَادِرَتِهِ النُّوعِيَّةِ لإِصْدَارِ المَعْجَم العربيّ التاريخي. وقد سَمَحَ لَهُ العَمَلُ في مَجْمَعِ اللُّغَةِ العربيّة بالقَاهِرَةِ من اسْتِيعَابِ الوَضْعِ العامِّ للمَعْجِمَةِ العربيّة، مُسْتَفِيدًا بِعُضُوبِيَّتِهِ في لُجْنَةِ المُعْجَم، وهي اللُّجْنَةُ الَّتِي تَهْتَمُّ في نَشَاطِهَا بِوَضْعِ مَعَاجِمِ المَجْمَعِ على تَنَوُّعِ تَخْصِصَاتِهَا واختِلَافِ أَحْجَامِهَا.

أَمَّا مَا يَخْصُ فِكْرَةَ مَشْرُوعِهِ فَقَدْ انطَلَقَتْ مَعَ "أَوَائِلِ القَرْنِ العِشْرِينَ، عِنْدَمَا عَرْضَ فِكْرَتُهُ في ثَلَاثَةِ مَوْثَمَاتٍ اسْتَشْرَاقِيَّةٍ. في بَازِل (1907م)، وكوينهاغن (1908م)، وأثينا (1912م)، حَيْثُ لَقِيَ قَبُولًا واسْتِحْسَانًا" (مُؤَلِّفِينَ، 2014، صَفْحَةُ 78). وَهُوَ مَا مَنَحَهُ دَافِعًا لِلْمُضِيّ أَكْثَرَ في المَشْرُوعِ، رَغْمَ عَدَمِ وُجُودِ سَابِقٍ نَمُودَجٍ عَرَبِيٍّ في هَذَا النُّوعِ مِنَ المَعَاجِمِ لِيُقَاسَ عَلَيْهِ.

وبالِظَّنِّ إِلَى هَذَا المُعْجَمِ بِمِيعَارِ مَادِيٍّ، عَنِ طَرِيقِ البَحْثِ فِي الجُزْءِ المَلْمُوسِ مِنْهُ، فَإِنَّ جُزْءًا يَسِيرًا مِنْهُ فَقَطْ شَهِدَ النُّورَ وَتَمَّتْ طِبَاعَتُهُ، حَيْثُ: "طُبِعَ " بَيْنَمَا زَالَ وَتَلَاشَى الإِكْمَالُ وَالمُتَابَعَةُ لِلْمَشْرُوعِ، بِوَفَاةِ صَاحِبِهِ. وَقَدْ كَانَ فَاتِحَةً لِبَابِ المَحَاوَلَاتِ لِهَيْئَاتٍ وَمُعْجَمِيَّينَ آخَرِينَ.

2.4 جُهودُ المَجَامِعِ العربيّة:

بِحُكْمِ أَسْبَقِيَّةِ 'مَجْمَعِ دِمَشْقٍ' و'مَجْمَعِ القَاهِرَةِ' فِي الظُّهُورِ، بَيَّنَ بَاقِي المَجَامِعِ اللُّغَوِيَّةِ العربيّة، فَقَدْ كَانَ لَهَا أَيْضًا فَضْلُ السَّبْقِ فِي إِثَارَةِ قَضَايَا المُعْجَم التاريخي العربي، وَتَبِعَهُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّ المَجَامِعِ العربيّة، زِيَادَةً إِلَى المَرَاكِزِ اللِّسَانِيَّةِ واللُّغَوِيَّةِ، لِأَنَّ المُعْجَم التاريخي أَصْبَحَ فِي صَدَارَةِ الشُّغْلِ المُعْجَمِيّ مِنْذُ أُثِيرَتْ فِكْرَتُهُ مَعَ 'فيشر' وَبِالتَّالِي تَوَجَّهَتْ جُهودُ المُعْجَمِيَّينَ نَحْوَ وَضْعِهِ. لَكِنِ الإِخْرَاجَ وَالتَّحْقِيقَ لَمْ يَتَمَّ فِي أَيِّ مِنْ هَذِهِ المَوْسِمَاتِ، عَدَا صُدُورِ بَعْضِ الأَعْدَادِ مِنَ 'المُعْجَم الكَبِيرِ' بِمَجْمَعِ القَاهِرَةِ لِلُّغَةِ العربيّة، وَهُوَ مُعْجَمٌ مُحَاكٍ لِلْمُعْجَم التاريخي، مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الاصْطِلَاحِ. وَجُهدُ المَجَامِعِ يُمَثِّلُ دُخُولَ الجُهودِ المَوْسِمَاتِيَّةِ فِي الصَّنَاعَةِ المُعْجِمَةِ العربيّة، ذَلِكَ أَنَّ: " العَمَلُ المَوْسِمِيّ بَدَأَ مُتَأَخِّرًا، وَبُخِطَى ثَقِيلَةً بَعْضُ الشَّيْءِ، عِنْدَمَا شَرَعَ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العربيّة بالقَاهِرَةِ فِي مَعَالِجَةِ أَوْجِهِ

القصور واستكمال مواطن النقص في المعاجم العربية التراثية، (...) فأطلق مشروع "المعجم الكبير" على غرار "معجم أكسفورد الكبير" وبنفس المنهج العلمي" (البطل، 2010، صفحة 63). وذكر مرجعية العمل أنه يعود لـ (معجم أكسفورد)، يُعد إقرار بأسبقيته في المجال وأن المؤلف العربي متأخر عن نظيره الإنجليزي.

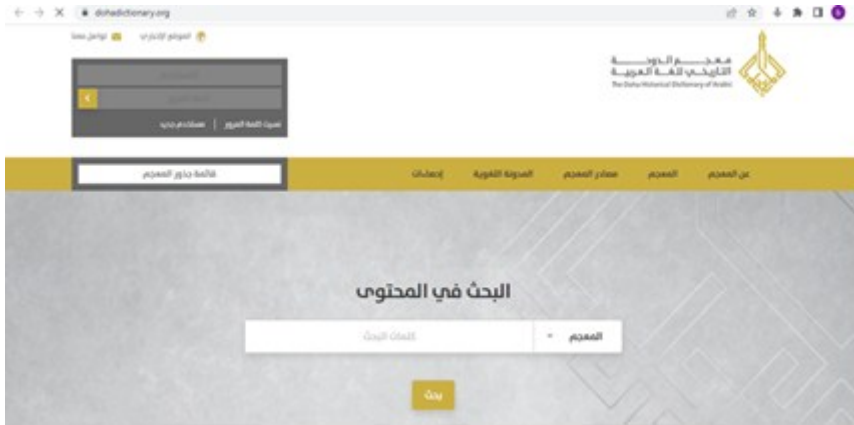
3.4 جهود اتحاد المجامع العربية:

بعد المساعي المتوالية لإخراج المعجم التاريخي على مستوى المجامع العربية، وبعض الهيئات اللغوية التي لم تثمر في إخراج هذا النوع من المعاجم، حصل شبه إجماع بين اللغويين على تشكيل لجنة عليا تهتم بتنسيق جهود المعجميين في هذا المجال، وهو ما تم فعلاً تحت هيئة "اتحاد المجامع العربية" التي كان دورها التنسيق بين الجهود العربية المبذولة في سبيل تجسيد هذا المشروع. ومع ذلك لم يصدر عن اتحاد المجامع العربية معجم تاريخي كامل المؤلف.

4.4 جهود دولة قطر:

تعد دولة قطر، رائدة في الصناعة المعجمية نتيجة نتيجتها بشرف إخراج أول معجم تاريخي عربي، ويمكن أن نسميها من منظور معجمي بـ: 'دولة المعجم التاريخي'، لأنها صنعت الاستثناء بين اثنين وعشرين دولة. وأخرجت للوجود معجماً تاريخياً بنسخة إلكترونية، بينما دام النشاط عليه لعشرات السنوات في عديد البلدان العربية دون تمام أي منجز.

وفيما يلي عرض للواجهة الرئيسية لمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية :



الصفحة الرئيسية لمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية (العربية، 2022)

وقد عملت هيئة المعجم على ضبط وتحديد شروط للرّصيد المعجمي الخاص بالمعجم. وزيادةً على تحديد التّحقيقات الرّمنية التي يُستغلّ عليها في جمع الرّصيد وتحديد الدّلالات، لأنّه بالاستناد إلى هذه المراحل يتمّ تحديد المتغيرات الدّلالية للرّصيد المعجمي. وكلّها تفاصيل خاصّة باليتي الجمع والوضع للرّصيد المعجمي وما يُصاحبها من شرح واستشهاد، وهي بعيدة عن الإطار المعرفي لفكرة هذا المقال.

لكنّه يحقّ لنا -بعد الوصول إلى: الإخراج الفعلي للمعجم التاريخي العربي- التّساؤل عن مستوى هذا المعجم عن طريق مقارنته بنظرائه من المعاجم التاريخيّة الأجنبيّة: فهل 'معجم الدوحة التاريخي للغة العربية' في مستوى مماثل للمعجم التاريخي للغتين: الإنجليزيّة والفرنسيّة؟

5. المعجم التاريخي الأجنبي و العربي؛ فارق الجودة والزّمن. (عرض معجمي وفكري):

الصّناعة المعجميّة وما تُقدّمه من معاجم تُعدّ من المؤلّفات الحاصلة عند كلّ أمّة، لأنّها مؤلّفات تُمثّل الوعاء الحافظ للسّيوّلة اللّغويّة والشارح لها. ونُحْ في هذا العنصر سنعمل على تجسيد مقارنّة بين واقع حال المعجم التاريخي العربي ونظيره الأجنبي. ولهذا سنختار معجمين من المعاجم الأجنبيّة كي نُمثّل بهما وهما: المعجم الفرنسي والمعجم الإنجليزي، نتيجة لما حصل بينهما من تقارب ثقافي، وكذا تقارب في التّوجّهات السياسيّة؛ حيث تُعدّ دولتي فرنسا وإنجلترا من البلدان الرائدة في السّاحة العالميّة في وقتنا الرّاهن، الأمر الذي يسهّل انتشار وتداول لُغتيهما في أماكن كبرى من العالم، ممّا يُعطي دفعا أكبر لانتشار معاجمهم بين الجمهور اللّغوي النّاطق بهذين اللّغتين.

1.5 المعجم التاريخي للغة الفرنسيّة:

المعجميّة الفرنسيّة كانت سبّاقة بين لغات العائلة اللّاتينيّة، إلى الاهتمام بالصّناعة المعجميّة، وقد أدّت الأكاديمية الفرنسيّة دوراً مهمّاً في ذلك. وكان "أول معجم للأكاديمية الفرنسيّة: في سنة 1694 أصدرت الأكاديمية الفرنسيّة أول معجم للغة الفرنسيّة؛ وأعقب ذلك معجمان أكثر شمولاً، وهما معجم 'سيزار بيير' الذي صدر في سنة 1670، ومعجم 'أنطوان فورتير' الذي صدر في سنة 1690" (البطل، 2010، صفحة 31). ومنذ تلك الفترة والعمل المعجمي يشهد تسجيل تأليف متنوع، وشمولية أكبر في رصيد المعاجم. وكلّها إجراءات ساهمت في توفير المادة اللازمة لوضع المعجم التاريخي. وكذا الذخائر اللّغويّة فيما بعد. كما هو الحال في "الذخيرة الفرنسيّة Trésaur de la langue Française" فإنّه يُعطي الاستعمال للغة الفرنسيّة لمدة قرنين، وقد دونت المعطيات اللّغوية (النصوص الأدبيّة والعلميّة) لما أنتجه الفرنسيون في القرن التاسع عشر والقرن العشرين. وتتبع الباحثون استعمال كلّ مُفردة في جميع سياقاتها وفي كلّ النّصوص المدوّنة. ولجأوا في ذلك إلى الحاسوب، ثم حرّز كلّ عالم عدداً من المداخل

اعتماداً على هذا الذي دَوَّنَهُ أَوَّلًا، ثُمَّ على الدَّرَاسَاتِ الدَّقِيقَةِ للسياقاتِ -كُلِّ السياقاتِ- الخَاصَّةِ بِجَمِيعِ الكَلِمَاتِ. فأصدَرُوا هَذِهِ الدَّخِيرَةَ في 19 جُزْءًا كَبِيرًا على شَكْلِ مُعْجَمٍ (1976 إلى 1994) (وهو عامٌّ وتاريخيٌّ وعِلْمِيٌّ). ثم شرعوا في حوسبة المعجم نفسه ألياً وأنهوا هذا العَمَلَ الكَبِيرَ العِملاقَ في 1998 ولم يَبْخُلُوا، فَبَذَلُوا الجُهودَ والأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ لِإنْجَازِهِ وَوَفَّقُوا إلى حَدٍّ بَعِيدٍ في كُلِّ ذَلِكَ، وهو الآنَ في مُنتَاقِلِ أَيِّ بَاحِثٍ في أَيِّ وَقْتٍ باللُّجُوءِ إلى شَبَكَةِ الأنترنتِ" (صالح، 2005، الصفحات 16-17). من هذا القول يَبْينُ أَنَّ المُعْجَمَ التَّارِيخِيَّ يَمَثُلُ المُرتَكزَ الأساسيَّ والطَّرِيقَ المُسَاعِدَ على وَضْعِ الذِّخَائِرِ اللُّغَوِيَّةِ، وَمِنْهُ دُخُولُ الرِّقْمَةِ المُعْجَمِيَّةِ مِنْ بَابِهَا الوَاسِعِ.

طَبْعًا مَعَ الأخْذِ في الحُسْبَانِ عَامِلِ الوَقْتِ؛ لِأَنَّ فِتْرَةَ الاشتغالِ على المُعْجَمِ التَّارِيخِيَّ في شَكْلِهِ الورقي سادت قُرُونًا مِنَ الزَّمنِ عند الأَمَمِ الرَّائِدَةِ في المَجالِ. مثلاً لو نَأْخُذُ اللُّغَتَيْنِ الفَرَنسِيَّةَ والإنْجِلِيزِيَّةَ نَجِدُ أَنَّ حَرَكَةَ التَّأْلِيفِ لِلْمُعْجَمِ التَّارِيخِيَّ في شَكْلِهِ الورقي دَامَتْ لِأَكْثَرِ مِنْ قَرْنَيْنِ مِنَ الزَّمنِ قَبْلَ أَنْ تَطْرُقَ نَشَاطَاتُهُمْ بَابَ الرِّقْمَةِ. أَمَّا الوَضْعُ في اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ فَنَسِيبِي، لِأَنَّ الصَّنَاعَةَ المُعْجَمِيَّةَ العَرَبِيَّةَ الحَدِيثَةَ مُتَأَخِّرَةٌ في مَجَارَةِ التَّطَوُّراتِ الحَاصِلَةِ، وَعَلَيْهِ تَشْخِصُ تَطَوُّراتُهَا بِلُغَةِ الأَرْقَامِ يَجْعَلُنَا في وَضْعٍ مُضْطَرِبٍ نَسِيبِيًّا؛ فَمَثَلًا نَجِدُ المُعْجَمَ التَّارِيخِيَّ العَرَبِيَّ مُتَأَخَّرَ عَنِ نَظِيرِهِ الفَرَنسِيَّ بِمِائَاتِ السِّنِينَ، وَحِينَ كَانَتْ المُحَاوَلَةُ الأُولَى فِيهِ، تَمَّتْ مِنْ طَرَفِ المُسْتَشْرِقِ الأَلْمَانِي (أ. فيشر). لِيُسْجَلَ بِهَذِهِ المَعْطِيَاتِ أَنَّ أَوَّلَ إنْجَازٍ لِلْمُعْجَمِ التَّارِيخِيَّ العَرَبِيَّ حَصَلَ عَنْ طَرِيقِ جُهودِ بَاحِثٍ غَيْرِ عَرَبِيٍّ الأَصْلَ، وَقَدْ تَمَّ ذَلِكَ في مُنْتَصَفِ القَرْنِ العِشْرِينَ. وَمَا هِيَ إِلَّا سَنَوَاتٌ قَلِيلَةٌ بَعْدَهُ إِلَّا لَحَقَتْ مُحَاوَلَاتٌ عَرَبِيَّةٌ أُخْرَى. لَشَرَدَفَ بَعْدَهَا مُبَاشَرَةً بِجُهودِ نَوْعِيَّةٍ ثَقُلَ مِنْ خِلَالِهَا المُعْجَمُ الورقي مِنَ الثَّمَطِ الورقيِّ إِلَى الإِعْدَادِ الرِّقْمِيِّ لِلْمُعْجَمِ التَّارِيخِيَّ العَرَبِيِّ.

أَيُّ نَفْهَمٍ مِنْ هَذَا أَنَّ سَيَرُورَةَ التَّأْلِيفِ المُعْجَمِيِّ عِنْدَ الأَمَمِ المُتَقَدِّمَةِ يَسِيرُ بِنَظَرِيَّةِ التَّدَاوُعِ؛ كُلُّ مَرَحَلَةٍ تَدْفَعُ إِلَى مَرَحَلَةٍ مُؤَالِيَةٍ أَكْثَرَ تَقَدُّمًا وَفَاعِلِيَّةً أَوْ أَجْوَدَ وَأَدَقَّ في الإِخْرَاجِ، وَذَلِكَ بُغْيَةُ الوُصُولِ إِلَى تَطْوِيرِ أَكْبَرَ لِلصَّنَاعَةِ المُعْجَمِيَّةِ. بَيْنَمَا فِي الأُمَّةِ العَرَبِيَّةِ نَجِدُ سَيَرُورَةَ التَّأْلِيفِ المُعْجَمِيِّ اسْتَسَلَّمَتْ إِلَى النُّقْلِيدِ وَمُسَايَرَةِ الحَاصِلِ، وَهُوَ مَا يَنْجُمُ عَنْهُ الاسْتِغَالُ عَلَى أَنْوَاعٍ مُتَبَاعِدَةٍ مِنَ المَعَاجِمِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، بَيْنَمَا فِي الحَقِيقَةِ تُوجَدُ فِتْرَاتٌ زَمْنِيَّةٌ طَوِيلَةٌ بَيْنَ كُلِّ نَوْعٍ وَآخَرٍ أَوْ بَيْنَ مَرَحَلَةٍ مُعْجَمِيَّةٍ وَأُخْرَى، مِثْلُ: المَعَاجِمِ اللُّغَوِيَّةِ العَامَّةِ، وَالمَعَاجِمِ المُتَخَصِّصَةِ، وَكَذَا المَعَاجِمِ التَّارِيخِيَّةِ.

2.5 المُعْجَمُ التَّارِيخِيَّ لِلُّغَةِ الإنْجِلِيزِيَّةِ:

مَا يُمَيِّزُ اللُّغَةَ الإنْجِلِيزِيَّةَ مُعْجَمِيًّا، هُوَ الانْطِلَاقُ المُعْجَمِيَّةَ السَّرِيعَةَ وَالْعَمِيقَةَ الَّتِي سُجِّلَتْ فِي مَسَارِهَا، خَاصَّةً الإنْجِلِيزِيَّةَ الأَمْرِيكِيَّةَ، الَّتِي حَقَّقَتْ فِي مَدَّةٍ زَمْنِيَّةٍ مُحدودةٍ نَسِيبِيًّا، تَقَدُّمًا وَرِيَادَةً فِي مُخْتَلَفِ أَنْوَاعِ المَعَاجِمِ.

أمّا عن انطلاق التّأليف في المعاجم التّاريخيّة، فهي بدورها تُعوّد إلى القرن الثامن عشر، متقدّمة بقرنين من الزمن على اللّغة العربيّة. فقد أصدر ناثان بيلي Nathan Bailey في سنة 1721 عمّله الشّهير 'المعجم العالمي في تاريخ اللغة الإنجليزيّة'، والذي تربّع على عرش المعاجم حتى نهاية القرن، وقد نال من الشهرة ما ناله معجم جونسون في وقته.

وفي سنة 1727 قام بيلي بإضافة ملحق لمعجمه، كان الأوّل من نوعه؛ إذ حدّد فيه مواقع النّبر (stress أو Accent) الأوّل والثانوي على الكلمات، مُبيّناً الفواصل بين المقاطع برُموزٍ شرح مفاتيحها في جدول وضعه في بداية الملحق.

وفي سنة 1730 أصدر بيلي عمّله الضّخم 'المعجم البريطاني'، الذي كان الدّعامّة الرّئيسيّة التي استند إليها جونسون عندما جمّع مادّة معجمه الضخم في سنة 1755" (البطل، 2010، صفحة 26). هذا عن البداية. أمّا في الوقت الرّاهن فالحديث عن المعجم الإنجليزي، يعني استحضار المعجم الأوّل عالمياً في الجودة والدقّة والعصرنة. ويكفي أن نستحضر اسم 'معجم أكسفورد' لتتداعى بعدها إلى الذهن تلقائياً مُختلف مُستجدات الصناعة المعجميّة الحديثة.

6. الانقطاع في جهود العمل وانعكاساته:

الشّيء المتجلي في الجهود العربيّة للمعجم التّاريخيّ، هو غياب الاستمراريّة في الأداء، مع التّموج والتّنوّع في الطّرح. وهذا رغم الاتفاق بين الدّارسين أنّه: "لا تُوجدُ وصفّة جاهزة أو طريقة استعمال واحدة صالحة في كلّ حال لإنجاز أيّ قاموس تاريخي لأيّ لغةٍ من اللّغات. والسبب بسيطٌ وواضحٌ أيضاً هو أنّه لا يُوجدُ هناك نوعٌ واحدٌ من القواميس التّاريخيّة أو صيغةٌ مُوحّدة لها، وإنّما هي أنواعٌ يَخْتَلِفُ بعضها عن بعضٍ في أمورٍ كثيرة: في حجم مدونتها وكيفيّة تكوينها ومصادرها وعدد مدخلها، وفي نوعيّة الألفاظ والمداخل المؤرّخ لها، وفي الفترة الزمنية المُراد التّأريخ لألفاظها، وفي طريقة التّأريخ لهذه الألفاظ، وتعرّيفها وترتيبها، ونوع المعلومات المطلوبة وقدرها وطريقة صياغتها وتنسيقها" (مؤلفين، 2014، صفحة 35). ولا نجد أدلّ على غياب الاستمراريّة من عدم إصدار أيّ معجم تاريخيّ رغم تبنّي الفكرة على مُستوى الأفراد بداية مع الباحث أ. فيشر. ثمّ كان نقلُ الانشغال إلى المؤسسات مع كلّ المجامع العربيّة التي بدورها قطعت الجهد الفردي في العمل لتعوّضه بجهد جماعيّ مؤسساتي، لكن من غير الوصول إلى إنجاز ملموس.

بعدها انقطع العمل على المعجم التاريخي وُنقلت جهودُ التأليف إلى اتحاد المجامع العربية بعدها هيئة عليا منسقة بين كل الهيئات والمجامع العربية، ومع ذلك فشل أيضا اتحاد المجامع العربية في الوصول إلى وضع نسخة كاملة من معجم تاريخي عربي.

أي تُسجل تنوع في جهود العمل على المعجم العربي التاريخي، بين عمل الأفراد فالمؤسسات ثم الهيئات الكبرى، ومع ذلك كلها مساعٍ مثَلت التنوّع في الاشتغال على الموضوع. لكنها في الوقت ذاته أثبتت الانقطاع وعدم استمرارية الجهود. الأمر الذي أسهم في تأخر ظهور هذا المولود، رغم طول مدة الإنجاز وتعدد الأقطاب المشاركة في مسعى التأليف.

وإجمالاً للمحطات الكبرى في مسيرة الإعداد للمعجم التاريخي، نقول إن مسعى الانطلاق كان مع المستشرق الألماني 'أ. فيشر' في بدايات القرن العشرين، وقد ميّزه الجهد الفردي مع اعتماد نمط الخططات. الأمر الذي أسهم في تباطؤ وتيرة العمل، وانعكس ذلك على المنجز بعدم اكتمال المشروع حتى وفاة المؤلف. وقد تزامن اشتغال 'فيشر' على المعجم التاريخي مع موجة التأسيس للمجامع اللغوية في البلدان العربية، ونظيراً لما لقيته الفكرة من قبول في وسط الجماهير العربية، فإن أغلب المجامع تبنّت مشروع المعجم العربي التاريخي. لكنها كلها لم تصل إلى إخراج هذا المعجم، لتتوجه بعدها نحو مسعى تشاركي في عمل الهيئات، فكانت الدعوة إلى تبني المشروع في هيئات تجتمع فيها المؤسسات العربية، وهو ما كان تحت غطاء اتحاد المجامع العربية.

ومع بدايات القرن الواحد والعشرين وعدم اكتمال المشروع، برز جهد مجمع الدوحة في الموضوع، وتم إصدار نسخة رقمية منه، وقد عُرفت بمعجم الدوحة التاريخي، ليكون أول معجم لغوي عربي تاريخي؛ لكنه ورغم اكتمال إخراجهِ، إلا أنه تميّزه السطحية في معالجة الرصيد المعجمي وكذا نسيجه الإحاطة بمجمل المفردات التي تستعمل في الواقع اللغوي الحديث.

ويعود السبب في سطحية معجم الدوحة التاريخي من جهة إلى كونه ظهر في نسخة محدودة المادة نسبياً، وزيادة إلى معالجة البيانات بنسب قليلة. في مقابل تسجيل تطوير رقمي كبير على المعاجم الإنجليزية والروسية والألمانية. كأن طول فترة ظهور المعجم التاريخي العربي، مكّنت في الجانب الآخر المعاجم التاريخية من تسجيل مراحل أخرى من التحسين والتطوير الرقمي لمعاجمها.

وما دامت المعجمية العربية حالياً تتوفر على نسخة من المعجم التاريخي فالوصول به إلى المستوى المطلوب صار أسهل من ذي قبل. فقط يكفي أن نتظافر الجهود قصد استيعاب مستجدات العصر وتضمين كليّ لرصيد مفردات اللغة العربية، كما لا بد من الحرص على تثبيت إجراء العصرية والتحديث على مستوى محتوي

المُعْجَم وَكَذَا مِنْ نَاحِيَةِ النَّقْيَةِ وَالْإِخْرَاجِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ تَعْيِينَ كَفَاءَاتٍ مِنَ الْكَوَادِرِ الْبَشَرِيَّةِ الْمُتَخَصَّصَةِ لِنَقُومٍ عَلَى الْأَمْرِ بِصِفَةِ دَوْرِيَّةٍ مُنْتَظَمَةٍ حَتَّى تُضْمَنَ اسْتِمْرَارِيَّةُ هَذَا الْمُعْجَمِ فِي مُسَايَرَةِ الْمُسْتَجِدَّاتِ.

7. خاتمة:

خِتَامًا وَمِمَّا عُرِضَ سَابِقًا، نَسْتَتِجُ أَنَّ 'الْمُعْجَمَ التَّارِيخِيَّ الْعَرَبِيَّ' تَمَيَّزَتْ سَيْرُورَتُهُ بِمَحَطَّاتٍ كُبْرَى نَعْرِضُهَا كَالآتِي:

- انطلاقة التأليف فيه كانت بجهد فردي استشرافي، مثله 'أ. فيشر' وتبعته جهود جماعية ومؤسسية كلها دأبت من غير الوصول إلى الصيغة النهائية لمشروع معجم عربي تاريخي.
- انقطاع جهود التأليف في المعجم التاريخي، ثم عودتها للانطلاق من جديد في محاولات أخرى للبداية من نقطة الصفر في مشاريع غير الأولى، هو ما أطال زمن صدور أول معجم تاريخي؛ لأنه لو كان هناك إكمال للجهود لأتم معجم 'أ. فيشر' التاريخي، وبعده لأكمل 'المعجم الكبير' للمجمع المصري، والأمر نفسه مع كل المشاريع التي اسْتُهْلَ التأليف فيها ثم انقطع. لكن ربط كل عودة بمشروع جديد خلق فوضى معجمية وزاد من المشاريع غير المكتملة.
- التجسيد الفعلي للمعجم كان مع 'معجم الدوحة التاريخي للغة العربية'، ليحقق إخراجه مكسباً للغة العربية، ومع ذلك فإن زمن تأليفه مع مطلع القرن الواحد والعشرين، يثبت فارقاً زمنياً يصل قرنين أو ثلاثة قرون بين ظهور نظيره من المعاجم التاريخية في اللغتين: الإنجليزية والفرنسية.
- عالم الرقمنة، نقل الصناعة المعجمية العصرية من عالم الأوراق والطباعة إلى عالم الحواسيب والشبكات، وهو ما جعل المعجمية العربية أمام تحديات أكبر من تحدي المعجم التاريخي في نسخته الورقية.
- انقطاع وتشّتت جهود الأمة العربية في وضع 'معجم عربي تاريخي'، هو انعكاس لانقطاع وتشّتت روابط البلدان العربية بدرجة أولى.
- المعاجم الرقمية المعاصرة في اللغات الأجنبية انفتحت على النّقل الحيّ المصوّر للواقع في فيديوّهات وتسجيلات صوتية، وهو الأمر المفقود في معجم الدوحة التاريخي، وكذلك في باقي أنواع المعاجم العربية الإلكترونية. وعليه لا بد أن نثمن معاجمنا بهكذا مستجدات.
- ضرورة التأسيس والإثبات لآلية العصرنة والتحيين في الصناعة المعجمية العربية، في وضع أي مصنف معجمي سواء كان المعجم العربي التاريخي، الذي يحتاج بصورته التي خرج بها معجم الدوحة

مزيد تنقيح وإضافة وتعديل. أو في باقي المعاجم العصرية التي تقتضيها ضروراتُ العصر. وهو ما أثبتته وأقرت به هيئة إخراج معجم الدوحة التاريخي، عن طريق الإشارة لذلك في واجهة الموقع، بذكر عبارة: 'المعجم في تحديث مستمر'، وهو ما توضحه الصورة التالية:



(العربية، رابط معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، 2022)

- التحديات التي نعيشها معجمياً، والواقع الذي عليه حال الأمة العربية (متخلفة نسبياً في واقع حياتها) يقتضي التوجه السريع نحو المعاجم الإلكترونية المتعددة اللغات، نظير ما لها من دور في تسهيل الحوار الحضاري والترجمة.

8. قائمة المراجع:

- العربية، ر. م. (2022). ماي. (15 رابط معجم الدوحة التاريخي للغة العربية Retrieved from <https://www.dohadictionary.org/> : <https://www.dohadictionary.org/>
- رابط معجم الدوحة التاريخي للغة العربية. (15 الساعة 18:00 ماي، 2022). رابط معجم الدوحة التاريخي للغة العربية. تم الاسترداد من : <https://www.dohadictionary.org/> /https://www.dohadictionary.org
- ع74 (المحرر). (2014). ينظر - عبد العلي الودغيري، نحو خطة لإنجاز القاموس العربي التاريخي في ضوء التجربة الفرنسية. مجلة اللسان العربي، 16.
- عبد الرحمان الحاج صالح. (ماي، 2005). المعاجم العربية والاستعمال الحقيقي للغة العربية. (ع1، المحرر) مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، 16-17.
- عز الدين البوشيخي. (2014). بناء المعجم التاريخي للغة العربية واقتضاءاته النظرية، المعجمية العربية قضايا وآفاق، ج2 (الإصدار ط1). سلسلة المعرفة اللسانية.
- مجموعة مؤلفين. (2014). نحو معجم تاريخي للغة العربية (الإصدار ط1). الدوحة- قطر: المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية.
- محمد البطل. (2010). مدخل إلى علم المعاجم (الإصدار ط1). بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.